نهاية حُب

محمد سعد زغلول سالم

الجمعة ٣١ مارس ١٩٧٢

فى أحد أيام الشتاء القارصَة وأنا جالِسٌ فى مَهْدِ الذكريات
أعودُ فى شَجْوٍ الى عَهْدِ الربيع حيث أزهارالمُروج مُتمايسات
حيث الطيورُ فى أعشاشها تُغرِّد وأوراق الغصون لِشَدْوِها متمايلات
وحيثُ أمَلى فى الخيال يَمْرحُ ومعهُ أحلامى رائحاتٌ غادِيات
وحيث النجوم فى السماء تُغنى سروراً وهى بالسعادة راقصات
وحيث حُبى فى الفؤاد يَهْمِسُ لِطَيْفِ الحبيب بأعْذَب الكلمات

فبَيْنما أنا فى الفَضاءِ هائِمٌ وسط أجْواء السعادة والهناء
والفَرْحُ على جانبَّى يُحَلِّق والشمسُ تنشُر على الكون الضياء
إذا بهَمَساتٍ ترامَت إلى أسْماعى تكادُ لَوْلا هَنائىَ تنطِقُ بالبكاء
فنظَرْتُ من عَلٍ الى دُنيايَ فوجَدْتُ عُرْساً يجوبُ ركبُهُ الأنحاء
فَسرَت بأعْماقِ روحى نشْوةٌ تبعثُها فى فؤادى أحلامُ اللقاء
وعَجبْتُ لهَمَساتِ السُرورِ تأتى وفى أعْقابها آهاتُ الشقاء

وغِبْتُ عَنِ الحياة وعَنِ الوجود فلَمْ يَكُ للحُزن فى عُمْرى نصيب
فمع إشراقة الحب فى فجر الشباب وروحى تهنأ وتحظى بقرب الحبيب
وقلبى فى آفاق الكَوْنِ يَحْيا بعْدَما كان شريداً فى الدنيا غريب
وشِغَافُهُ بالوَجْد تَفيضُ شَوْقاً فمَوْعِدِ اللقاء قدْ أضْحَى قريب
فهاهِىَ أقْدامُ الزمانِ تخْطو وأنا أسْتَحِثُّ وَقْعَها الرَتيب
وعَمَّا قليلٍ إلى الحَبيب أهْفو والحب يَسْبقُنى إليه قبلَ المَغيب

وأفَقْتُ مِن أحْلامى مَذْعورَ النُهَى فقد تراءَى لِفؤادى ضَياعُ أمَلِهِ
وأجَلْتُ البَصرَ فى الظلام حَوْلى أُسائِلُ الكَوْنَ عن خُفوتِ نُجومِهِ
أُسائِلُ الأزهارَ أين عَبْقُ عَبيرِها ولماذا كَّفَّ العندليبُ عن تغريدِهِ
وأصَخْتُ السَمْعَ إلى دقَّاتِ قلبى أيْنَ فرْحِهْ أيْنَ بُشْرِهْ أيْنَ حُبِّهِ
فأجابنى جُرْحٌ عَميقٌ يفيضُ حُزناً قد ضاع حُبُّكَ فى الحياة فإنسِهِ
فما لِسعادةِ الدُنيا خُلِقْتَ بَلْ للشقاءِ تُنادِمْهُ وتَجْرَعُ مُرِّهِ

وعُدْتُ والأحلامُ مَدْحُورَ الخُطَى وشمسُ الحياة قد أوْشكَت على المغيب
أُجيلُ بَصَرى فى ذهولٍ صَامِتٍ أحَقاً لَم يَعُدْ وقْتُ اللقاء قَريب
أحَقاً ضَاع أمَلِى فى سِياق الزمان ولم يَعُد للفَرْح فى عمرى نصيب
هَلْ صارَ حُلْمِى فى الهَناء رماداً وعَادَ قَلْبى إلى الحَياةِ غَريب
أحَقاً لم يَعُدْ لى غيرُ إنتظارى للأمل وقلبى تُمزق شغافَه آهاتُ النحيب
ولَكِن عَلامَ الإنتِظار بَعْدَ الأوان وقد كان ذاكَ العُرْسُ عُرْسَ الحبيب

وهكذا الأقدارُ تعْبَثُ بالفؤاد فتُدْمِى جراحَهْ وتُلْهِبُها بسَوْطِ أحزانى
فأيْن مِّنِى الآنَ حِينَ كُنتُ أهيمُ فى الخيال سعيداً وسط أحلامى
لَمْ يَعُدْ لى فى الحَياة رفيقٌ غَيْرَ قلْبٍ سَلَبَتْ هَناءَهُ أشجانى
وغَيْرَ حُبٍ قابَلْتُه ذاتَ يَوْمٍ وصَارَ ذكْرَى حزينة بدُنيا ذكْرَياتى
تُصَبِّحُنى بأنَّاتِ قلبٍ كسير وتُدْمِى وشائجَ روحى بأنينِ أتْراحى
لأنَّ ذنبى أننى أحْبَبْتُ يوماً فضاع مِنِى الحبُ وغدرت بىَ أقدارى.